

## ما أهمله ابن فارس في معجم مقاييس اللغة

أ.م.د. فليح خضير شتبي / كلية الآداب / جامعة واسط

أ.د. آلاء عبد نعيم / كلية الآداب / جامعة واسط

### المقدمة

لقد قام المعجم العربيّ على أمرين مهمين هما ؛ الجمع والتأليف ، وأيّ خلل في أحد هذين الأمرين سيجعل المعجم غير مستوفٍ للغرض الذي أنشئ من أجله وهو جمع وتدوين ألفاظ اللّغة العربية ، وفي هذا يقول ابن منظور: " ورأيتُ علماءنا بين رجلين ، أمّا من أحسنَ جمعه فأبّه لم يُحسن وصفه ، وأمّا من أجاد وصفه فأبّه لم يُجد جمعه، فلم يُعدّ حُسن الجَمع مع إساءة الوضع ، ولا نَفَعَتْ إجادة الوضع مع رداءة الجَمع"<sup>(١)</sup> ولقد أصاب هذين الأمرين خلل أدى إلى بروز ظاهرة المهمل. فمن ناحية الجمع، فإنّ المعجم العربي لم يجمع كلّ ما ورد على ألسنة العرب، فقد غفل المعجميون عن كثير من الكلمات فلم يدونوها ، والسبب في ذلك أنّهم لم يستطيعوا تتبع القبائل في أماكن سكناها الواسعة ، فلم يسجلوا كلّ ما تكلم به العرب ، ولم يدونوا ما كان يدور بين أبناء القبائل العربية من أحاديث في مختلف ظروف الكلام ؛ لأنّ هذا الأمر لا يستطيع أي شخص القيام به إلا أن تكون له صفات خاصة ، ولهذا يقول الشافعيّ: " لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي"<sup>(٢)</sup> . وقال أبو عمرو بن العلاء : "ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلّا قلة ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير"<sup>(٣)</sup> وهذا يعني أنّ ما وصل إلينا من كلام العرب لا يمثل كلّ ما تكلم به العرب إنّما هو نزر يسير من واسع كثير فُقد ولم يصل إلينا، وسبب فقدانه هو عملية الجمع الناقص، وعدم الاستقراء الكامل لكلّ ما تكلم به العرب ، ممّا أدى إلى إهمال كثير من الألفاظ وعدم ظهورها في المعجمات العربية.

### مفهوم المهمل

ليس هنالك حدّ دقيق للمهمل في كتب اللّغة ، وإنّما هنالك إشارات منها ما ذكره ابن فارس في كتابه الصّاحبيّ ، إذ يقول: "قال لي بعض فقهاء بغداد : إنّ الكلام على ضربين : مهمل ومستعمل . قال : فالمهمل : هو الذي لم يوضع للفائدة ، والمستعمل ما وضع ليفيد فأعلمته أنّ هذا كلام غير صحيح ، وذلك أنّ المهمل على ضربين : ضرب لا يجدر إنتلاف حروفه في كلام العرب بئنةً ، وذلك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدّم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء ، أو غين ، فهذا وما أشبهه لا يتألف .

والضرب الآخر ما يجوز تألّف حروفه لكن العرب لم تقل عليه وذلك كإرادة مريد أن يقول : (غضخ) فهذا يجوز تألّفه وليس بالتأخر ، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة : (خضع) لكن العرب لم تقل (عضخ) ، فهذا ضرب المهمل ، وله ضرب ثالث وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الدّلّق أو الإطباق حرف"<sup>(٤)</sup>

وتأسيساً على هذا يمكننا القول : إنّ ابن فارس بيّن المهمل بأنّه ما لم يستعمل من اللّغة إمّا لمخالفته النّظام الصّرفيّ للعربية ، أو لأنّ العرب لم تقل به وهذا الأمر سبق وإن أشار إليه الخليل ، فهو أول من أطلق تسمية ( المهمل ) على الألفاظ التي لم يستعملها العرب ، أمّا لأنّ حروفها لا تتألف صوتياً ، إذ قال : " إنّ العين لا تتألف مع الحاء في كلمة واحدة ؛ لقرب مخرجيهما"<sup>(٥)</sup> أو لأنّ حروفها كثيرة ، فكما كثرت حروف الكلمة قلّ دورانها على ألسنة الناس وكثر إهمالها ، ولهذا نجد أنّ أكثر الكلمات الخماسية مهمله ، فيقول: " والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجهاً ... يستعمل أقله ويُلغى أكثره"<sup>(٦)</sup>

## أنواع المهمل عند ابن فارس

عند استقراءنا لمعجم مقاييس اللغة لابن فارس تبين لنا أنَّ المهمل عنده على أنواع هي :

١. مهمل مقصود: هو الذي أهمله ابن فارس عن قصد منه لأسباب عديدة ، وهذا النوع من المهمل ينقسم على أقسام هي :

أ. مهمل لم تتكلم به العرب وهو عند ابن فارس على ضربين :

١. ضرب " لا يجوز إنتلاف حروفه في كلام العرب بتةً ، وذلك كجيم تؤلف مع كاف ، أو كاف تقدم على جيم ، وكعين مع غين ، أو هاء مع هاء ، أو غين ، هذا وما أشبه لا يتألف" (٧)

٢. ضرب " يجوز تألف حروفه لكن العرب لم تقل به " (٨)

إنَّ هذا الضرب من المهمل ليس له سبب واضح سوى أنَّ العرب لبساطة حياتهم اليومية وقلة ما فيها من حاجات وأغراض لم يكونوا بحاجة إلى استعمال كل الألفاظ التي توفرها لهم اللغة ، إذ كانوا يختارون الألفاظ السهلة الخفيفة النطق ، وفي هذا يقول ابن فارس : " وذلك كإرادة مريد أن يقول : (عَضَخَ) فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة : (حَضَعَ) لكن العرب لم تقل : (عَضَخَ) " وفي (٩) هذا المعنى يقول ابن جني : " فلما كان الأمر كذلك اقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض وكانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم وعارضة أنفسهم على تخيرهم " (١٠)

ب. نوع تكلمت به العرب لكن ابن فارس لم يذكره ، وهو ينقسم على :

١. جذور أهملها بأكملها ولم يذكر عليها شيء سوى قوله : " حفس الحاء والفاء والسين ليس أصلاً ، يقال للرجل القصير حيفس" (١١) وقوله : " حَقِم : الحاء والقاف والميم لا أصل ولا فرع" (١٢) . وقوله : " حَقَط : الحاء والقاف والطاء ، ليس أصلاً ولا أحسب الحَيُّقْطان وهو ذكر الدُّراج صحيحاً" (١٣).

٢. وهنالك جذور لم يذكرها ولم يشر إليها بأي كلمة . منها الجذر (سَفَى) ، قال صاحب العين : " (سَفَوَان) اسم موضع لبني تميم عند جبل يقال له سنام ببادية البصرة (١٤) وضبطه ابن السكيت بقوله : " وهو سَفَوَان اسم بلد ولا تقل سَفَوَان (١٥) وذكر ابن قتيبة في (باب ما يغير من أسماء البلاد) أن : " حَرَسوس وسَلْعوس وسَفَوَان ، كل ذلك بفتح ثانيه ، وقال الشاعر (١٦) :

رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعَيْدِكُمْ

تلاقوا غداً خيلي على سَفَوَان " (١٧)

٣. ألفاظ ومشتقات ، ذكر جذورها ولكنه أهملها عند كلامه عن الجذر ، نحو قوله : "زحم الزاء والحاء والميم أصل يدل على انضمام في شدة، يقال : زَحَمَهُ يَزْحَمُهُ ، وازدحم الناس" (١٨). فهو قد ذكر هذا الجذر لكنه أهمل كثيراً من الإلفاظ والمشتقات التي تنتمي إلى هذا الجذر من مثل : مَزَحَمَ ومُزَاجِمَ ، جاء في تاج العروس : " ز ح م زَحَمَهُ كَمَنَعَهُ يَزْحَمُهُ زَحْمًا وَزَحَامًا بِالْكَسْرِ ؛ أَي : ضَايِقَهُ وَازْدَحَمَ الْقَوْمَ وَتَرَاحَمُوا تَضَايِقُوا وَالرَّحْمُ الْقَوْمُ الْمُزْدَحِمُونَ... وَرَحْمٌ اسْمُ رَجُلٍ وَرُحْمٌ بِالضَّمِّ اسْمُ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَكَاهَا ثَعْلَبٌ قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ وَالْمَعْرُوفُ رُحْمٌ أَوْ هِيَ أُمُّ الرَّحْمِ وَالْمَرْحَمُ كَمُنْبَرِ الْكَثِيرِ الرَّحَامِ أَوْ شَدِيدِهِ، وَمِنْهُ مُنْكَبٌ مَرْحَمٌ ... وَرَاحِمٌ فَلَانَ الْحَمْسِينَ وَزَاهَمَهَا ؛ أَي : قَارَبَهَا وَبَلَّغَهَا وَأَبُو مُزَاجِمِ الْفَيْلُ وَابْنُ التَّوْرُ نُو الْقَرْظَيْنِ كَمَا فِي التَّهْذِيبِ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَفِي الْمُحْكَمِ الْمُنْكَسِرِ الْقَرْظَيْنِ وَفِي بَعْضِ نُسَخِهِ الْمُنْكَسِرِ الْقَرْظَيْنِ وَفِي التَّهْذِيبِ يُكْنَى بِمُزَاجِمٍ وَفِي الْمُحْكَمِ بِأَبْنِ مُزَاجِمٍ وَأَبُو مُزَاجِمٍ أَوْلُ مَنْ قَاتَلَ الْعَرَبَ مِنْ حَاقَانَ وَأُولَ الثَّرَكِ . وَمُزَاجِمِ اسْمُ فَرَسٍ وَرَحْمَةُ الْوَالِدَةِ رَجْمَتُهَا بِالْجِيمِ " (١٩)

٤. دلالة من دلالات لفظ مستعمل ، أهملها ولم يثبتها

ثانياً. مهمل غير مقصود

للمهمل عند ابن فارس أسباب كثيرة يمكن تقسيمها على نوعين :

١. أسباب تتعلق باللغة نفسها.

٢. أسباب تتعلق بجامعي اللغة.

أما لأسباب التي تتعلق باللغة فهي التي ذكرت آنفاً ، وأما الأسباب التي تتعلق بجامعي اللغة فيمكن إجمالها بالآتي:

١. سعة لغة العرب ، الأمر الذي يجعل من الإمام بها أمراً صعباً بل مستحيلاً ولهذا قال ابن فارس : " قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي ، وهذا كلام حريّ أن يكون صحيحاً ، وما بلغنا أن أحداً ممن مضى أَدعى حفظ اللغة كلها ، فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قول: (هذا آخر كلام العرب ) فقد كان الخليل أروع وأتقى لله جلّ ثناؤه من أن يقول ذلك" (٢٠)

٢. اتساع جغرافية القبائل العربية ، الأمر الذي جعل تتبع أفراد القبائل التي يحتج بكلامها ومشافهة كل عربي ومعايشتهم دهرًا طويلاً بقصد تسجيل كل ما يتكلمون به في شتى الظروف والأحوال أمراً صعباً ؛ وذلك بسبب تفرق هذه القبائل على مساحة واسعة من الجزيرة العربية ، وانعزال بعض هذه القبائل في أماكن بعيدة ، كمناطق جنوب الجزيرة واليمن وعمان ، فكيف يتسنى لعلماء من أمثال الخليل وابن دريد وابن فارس وغيرهم الوصول إلى مساكن هذه القبائل كلها ولا سيما في ذلك الوقت الذي لم تتوافر فيه وسائل الإتصال (٢١) الأمر الذي سبب إهمال بعض الألفاظ العربية.

٣. فقدان التصنيف المنظم لما جمع من لغة العرب، فحتى اللغة التي جمعت لم يستطع اللغويون ومنهم ابن فارس تصنيفها وتبويبها بشكل مفصل ، مما سبب إهمالاً لبعض المفردات والتراكيب ولم تثبت في المعجم رغم ورودها في لغة العرب شعرها ونثرها " فلو التزمت المعاجم القديمة ترتيباً مستوعباً لكل استعمال التراكيب اللغوي ، لكان ذلك عاصماً من أن تُفقد أي منها ؛ لأنّ أماكنها في الترتيب تدكّر بها ، ولكن معاجمنا القديمة لم تلتزم بشيء من ذلك ففقدت ما فقدت" (٢٢).

٤. ضوابط ومعايير الفصاحة

وضع اللغويون شروطاً للألفاظ التي دونوها في معاجمهم وهي أن تتوافر فيها معايير الفصاحة ، وهذه المعايير تتأني بطريقتين:

الأول : زمني : فلا يُعدّ اللفظ فصيحاً صحيحاً إلا إذا كان في إطار عصور الاحتجاج التي تمتد حتى منتصف القرن الثاني الهجري في الحضر وأواخر القرن الرابع في البادية.

الثاني : مكاني : إذ قصر اللغويون أخذ مادتهم اللغوية على بعض القبائل العربية ، وفي مقدمتها قريش وتميم وأسد وقيس ، قال الفارابي: " كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند التطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة وبهم أفندي ، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكّل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثمّ هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم" (٢٣)

وهذان المعياران الزماني والمكاني جعلتا علماء اللغة يتوقفون كثيراً عن تدوين اللغة وجعلها يتشددون كثيراً في التحرّي عن فصاحة اللفظة ، الأمر الذي أدّى إلى إهمال كثير من الألفاظ التي انتجها أدباء العربية بعد عصر الاحتجاج فلم تدون في المعاجم ، رغم أنّ أكثرها كان على وفق أصول الأخذ العربية. (٢٤)

## الهوامش

- (١) لسان العرب : ٢٥/١
- (٢) الرسالة للشافعي : ٤٢ .
- (٣) المزهر : ٢٤٩/١ .
- (٤) الصاحبى فى فقه اللّغة : ٨١ - ٨٢
- (٥) العين ٦٠/١
- (٦) المصدر نفسه : ٥٩/١
- (٧) الصاحبى فى فقه اللّغة : ٨٢ .
- (٨) المصدر نفسه : ٨٢ .
- (٩) المصدر نفسه : ٨٢ .
- (١٠) الخصائص : ٦٤/١ - ٦٥
- (١١) مقاييس اللّغة : ٢٥٦
- (١٢) المصدر نفسه : ٢٥٧
- (١٣) المصدر نفسه : ٢٥٨
- (١٤) العين : ٣٠٩ /٧
- (١٥) إصلاح المنطق : ١٩٤
- (١٦) الشاعر : ودّاك بن ثميل المازنى . شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٢٧/١
- (١٧) أدب الكاتب : ٤٢١
- (١٨) مقاييس اللّغة : ٤٤٩ .
- (١٩) تاج العروس ( زحم )
- (٢٠) الصاحبى فى فقه اللّغة : ٤٩
- (٢١) ينظر : الاستدراك على المعاجم العربية : ١٧ .
- (٢٢) المصدر نفسه : ٢١ .
- (٢٣) المزهر : ٢١١/١ .
- (٢٤) ينظر الاستدراك على المعاجم العربية : ٢١

## المصادر

- ١ . أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري؛ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، مصر، ١٩٦٣م
- ٢ . الاستدراك على المعاجم العربية ،د. محمد حسن جبل ، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).
- ٣ . إصلاح المنطق ، ابن السكيت؛ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، ط٤ ، القاهرة ، ١٩٤٩
- ٤ . تاج العروس من جواهر القاموس ،الزبيديّ ؛ محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق علي شيري، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤م.
- ٥ . الخصائص ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت.(د.ت)
- ٦ . الرسالة ؛ الشافعي ؛محمد بن إدريس ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٩٣م
- ٧ . شرح ديوان الحماسة ، المرزوقى ؛ أبو علي أحمد بن الحسن الأصفهاني،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٧م.
- ٨ . الصاحبى فى فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، ابن فارس؛ تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ١٩٩٣م.
- ٩ . العين ، الفراهيدي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي .تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال . (د.ت)
- ١٠ . لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت،(د.ت)
- ١١ . لمزهر فى علوم اللّغة ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٢ . مقاييس اللّغة ، ابن فارس، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ٢٠٠١